Journal of Al-Farahidi's Arts, No: 66: p(I): 58-75
Doi: https://doi.org/10.25130/jfa.18.66.1.3

IRAQI Academic Scientific Journals

P-ISSN: 2074-9554 | E-ISSN: 2663-811
Journal of Al-Farahidi's Arts
available online at: fja.tu.edu.iq/index.php/fja

Tikrit University
J.F.A
Journal of Al-Frahedis Arts
College of Arts

Poetics of Anticipation and Human Loss in the Poetry of Raed Abd al-Qadir

Saif al-Din Nasser
E-Mail: Skhazaal@uowasit.edu.iq

CREDIT AUTHORSHIP CONTRIBUTION STATEMENT

The Author writes the original draft, validation, methodology, investigation, analysis, data curation, and conceptualization.

DECLARATION OF COMPETING INTEREST

The authors declare that they have no known competing financial interests or personal relationships that could have appeared to influence the work reported in this paper.

Article history:

Received	13/7/2026
Received in revised form	17/8/2026
Accepted	25/8/2026
Available online	29/9/2026

©THIS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CCBY LICENSE
http:// creativecommons.org/licenses/by/4.0

E-mail Jaa@ tu.edu.iq

A B S T R A C T

This study addresses an exceptional poetic phenomenon in the modern Iraqi poetry scene, seeking to establish a new critical concept — the poetics of foresight — and apply it to the poetic experience of Raad Abdul Qadir as a unique model that combines the anticipatory vision of catastrophe, human loss, and awareness of collective death. The study rests on a central hypothesis that foresight in this poetic experience is not supernatural prediction, but rather a deep poetic sensitivity stemming from the poet's comprehensive awareness of his human and historical surroundings, and that human loss in its multiple dimensions is employed as central poetic material rather than a secondary emotional background. The study adopted the analytical literary method, utilizing structural criticism tools in analyzing imagery, symbolism, and temporal structure, while not overlooking the human and historical context that produced these texts. It was distributed across three chapters addressing the methodological framework, the theoretical framework based on the concepts of literary foresight and poetics of loss, and the applied textual analysis of selected texts from the complete poetic collection.

Keywords: catastrophic vision, contemporary Iraqi poetry, foresight poetics, human loss, literary foresight, loss, Raad Abdul Qadir.

شعرية الاستشراف والخسارة الإنسانية في شعر رعد عبد القادر

سيف الدين ناصر / جامعة واسط / كلية الادارة والاقتصاد

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة شعرية استثنائية في مشهد القصيدة العراقية الحديثة، إذ تسعى إلى تأسيس مفهوم نقدي جديد هو شعرية الاستشراف وتطبيقه على تجربة الشاعر رعد عبد القادر بوصفها نموذجاً فريداً يجمع بين الرؤية المسبقة للكارثة والخسارة الإنسانية والوعي بالموت الجمعي، وتنهض الدراسة على فرضية مركزية مفادها أن الاستشراف في هذه التجربة الشعرية ليس تنبؤاً غيبياً بل هو حساسية شعرية عميقة تنبثق من وعي الشاعر بمحيطه الإنساني والتاريخي، وأن الخسارة الإنسانية بأبعادها المتعددة توظّف مادةً شعريةً مركزيةً لا خلفيةً عاطفية ثانوية، وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الأدبي مستعينة بأدوات النقد البنيوي في تحليل الصورة والرمز والبنية الزمنية، دون إغفال السياق الإنساني والتاريخي الذي أنتج هذه النصوص، وتوزّعت على ثلاثة مباحث تناولت الإطار المنهجي والإطار النظري القائم على مفهومي الاستشراف الأدبي وشعرية الخسارة،

الكلمات المفتاحية : الاستشراف الأدبي، الخسارة الإنسانية، الرؤية الكارثية، الشعر العراقي الحديث، رعد عبد القادر.الرمزية

المقدمة

الشعر الحقيقي لا يصف ما جرى بل يرى ما سيجري، وهذه الرؤية المسبقة ليست ضرباً من الغيب بل هي حساسية إنسانية عميقة يمتلكها شعراء بعينهم يقرؤون إشارات زمنهم بعمق لا يطاق، فيحوّلون ما يرون إلى قصيدة تبقى شاهدة على ما لم يصدَّق حين قيل ولم يتذكّر حين وقع، وقد شهد الشعر العراقي الحديث تجارب استثنائية نبتت في تربة الكارثة وتشرّبت وعياً مبكراً بالخسارة، فجاءت قصائدها أثقل مما تحتمله المناسبة وأعمق مما يستوعبه الزمن الذي كُتبت فيه.

ومن بين هذه التجارب تجربة شعرية متفردة اختارت الكتمان على الجهر، ووضعت قصائدها في الأدراج بدلاً من المنابر، وآثرت الرؤية على الصوت، فكانت بذلك شاهداً صامتاً على زمن لم ينصف أحداً، تلك هي تجربة رعد عبد القادر الشاعر العراقي الذي ولد في سامراء عام 1953 وغادر الحياة في كانون الثاني 2003، تاركاً وراءه إرثاً شعرياً يزداد ثقلاً ودلالةً كلما ابتعدنا عنه زمنياً، وكلما تعمّقنا في قراءته بعيداً عن ضجيج اللحظة التي كُتب فيها.

وتسعى هذه الدراسة إلى قراءة هذه التجربة الشعرية قراءةً تحليليةً معمّقة من خلال مفهوم شعرية الاستشراف الذي يجمع بين الرؤية المسبقة للكارثة والخسارة الإنسانية والوعي بالموت الجمعي بوصفها بنية شعرية متكاملة لا ظاهرةً عابرة. وتطرح الدراسة أسئلةً جوهريةً من أبرزها: كيف تتحوّل الكارثة إلى شعر قبل أن تقع؟ وكيف تصبح الخسارة مادة جمالية وأخلاقية في آنٍ معاً؟ وما الأدوات التي تجعل من القصيدة مرصداً للمستقبل ومرثيةً للحاضر في الوقت ذاته؟

وتستمد هذه الدراسة أهميتها من مستويين متكاملين؛ أولهما نظري إذ تسعى إلى تأسيس مفهوم شعرية الاستشراف وتطويره بوصفه أداة نقدية جديدة قابلة للتطبيق على تجارب شعرية متعددة، بعيداً عن الاقتصار على القراءات السياسية أو التصوفية التي طغت على دراسة الشعر العراقي الحديث، وثانيهما تطبيقي إذ تُقدّم قراءةً تحليليةً معمّقة لتجربة شعرية تستحق من الاهتمام النقدي أكثر مما نالته، وتفتح الطريق لدراسات مماثلة حول شعراء عراقيين آخرين ينتمون إلى الجيل ذاته ويشتركون في هذا الوعي المبكر بالكارثة والخسارة.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الأدبي الذي يعنى بالنص في علاقته بصاحبه وزمنه ومحيطه الإنساني، مستعينة بأدوات النقد البنيوي في تحليل الصورة والرمز والبنية الزمنية

دون أن تُغفل السياق الإنساني والتاريخي الذي أنتج هذه النصوص، وقد توزّعت الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسة؛ يُعنى الأول بالإطار المنهجي من حيث مشكلة البحث وأسئلته وأهميته وأهدافه وفرضياته، فيما يُقدّم الثاني الإطار النظري الذي يتضمن مفهوم الاستشراف الأدبي وشعرية الخسارة وأسباب اختيار رعد عبد القادر موضوعاً للدراسة، في حين يمثّل الثالث القلب التحليلي للدراسة الذي يقوم على تحليل نصوص مختارة من المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر وفق مفهوم شعرية الاستشراف، وتختتم الدراسة بجملة من النتائج والتوصيات التي تُلخّص ما انتهت إليه القراءة التحليلية وتفتح آفاقاً بحثية للدراسات القادمة.

ولا تدّعي هذه الدراسة أنها أغلقت باباً أو استنفدت موضوعاً، بل تطمح إلى أن تفتح نافذةً جديدةً على شعرية لم تُقرأ بما تستحق، وأن تُؤسّس مفهوماً نقدياً قابلاً للتوسع والتطبيق على تجارب شعرية عراقية وعربية أخرى تشترك في هذا الوعي المبكر بالكارثة والخسارة، إيماناً بأن النقد الأدبي الحقيقي ليس وصفاً لما قيل بل كشفاً عمّا لم يُقَل بعد.

المبحث الأول: الإطار المنهجي للدراسة

أولاً: مشكلة البحث

على الرغم من الحضور اللافت لظاهرة الاستشراف في الشعر العراقي الحديث، يظل غياب دراسة نقدية منظّمة تتناول هذه الظاهرة في تجربة شعرية بعينها فجوة معرفية واضحة في المكتبة النقدية العربية، فقد تناولت الدراسات السابقة البنية السردية وشعرية المكان وبعض تجليات الاستشراف في الشعر الحديث، غير أن أحداً لم يجرِ قراءة نصيةً تحليلية تُركّز على تجربة شعرية محددة بوصفها نموذجاً مركّزاً لظاهرة الاستشراف الكارثي وتحويل الخسارة إلى لغة شعرية.

ومن هنا تنبثق المشكلة المركزية لهذا البحث: كيف تبنى رؤية الكارثة في هذه التجربة الشعرية، وكيف تتحوّل إلى خسارة إنسانية جمالية؟ وتتفرّع من هذه المشكلة ثلاثة محاور جوهرية: أولها أن هذه القصائد تُظهر رؤية مسبقة للكارثة في حقول السياسة والحرب والموت الجماعي دون أن تبنى لها قراءة نظرية منظّمة، وثانيها أن الخسارة الإنسانية بأبعادها المختلفة من فرد ومكان ووطن ومعنى توظّف كمادة شعرية مركزية غير مُؤطّرة مفهومياً، وثالثها أن هذا الشعر يُميّز بين الموت الإنساني والموت السياسي بصورة لم تعالَج نقدياً بالعمق الكافي.

ثانياً: أسئلة البحث

يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيسي الآتي: **ما بنية الرؤية الاستشرافية للكارثة في هذه التجربة الشعرية، وكيف تتحوّل الخسارة الإنسانية إلى فضاء شعري جمالي؟** ويتفرّع عن هذا السؤال جملة من الأسئلة الفرعية:

1-ما تجليات الاستشراف الكارثي في حقول السياسة والحرب والموت الجماعي والخسارة المكانية؟

2-كيف تُوظّف الخسارة الإنسانية بأبعادها المختلفة مادةً شعريةً مركزية في النص؟

3-ما طبيعة العلاقة بين الاستشراف الزماني والخسارة الإنسانية: أهي رؤية مستقبلية سابقة للحدث أم نتيجة تجربة متأخرة؟

4-إلى أي مدى يميّز هذا الشعر بين الموت السياسي والموت الإنساني الصادق، وكيف يتحوّل هذا التمايز إلى بنية شعرية؟

ثالثاً: أهمية البحث:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من مستويين متكاملين: أولهما نظري إذ تسعى إلى تأسيس مفهوم (شعرية الاستشراف) وتطويره بوصفه أداة نقدية جديدة قابلة للتطبيق على تجارب شعرية متعددة، بعيداً عن الاقتصار على القراءات السياسية أو التصوفية التي طغت على دراسة الشعر العراقي الحديث. وثانيهما تطبيقي إذ تُقدّم قراءة تحليلية معمّقة لتجربة شعرية تستحق من الاهتمام النقدي أكثر مما نالته، وتفتح الطريق لدراسات مماثلة حول شعراء عراقيين آخرين ينتمون إلى الجيل ذاته ويشتركون في هذا الوعي المبكر بالكارثة والخسارة..

رابعاً: أهداف البحث

1-تحليل بنية الاستشراف في نصوص رعد عبد القادر وبيان كيف تُبنى الصور والمشاهد التي تُقدّم الكارثة قبل وقوعها.

2-تعرُّف الخسارة الإنسانية في شعر رعد وتحليلها بوصفها مادة شعرية مركزية في مشروعه الإبداعي.

3-تبيين العلاقة بين الاستشراف والإنسانية الشعرية وبيان كيف تتحوّل رؤية الموت الكلي إلى فعل أخلاقي وجمالي.

4-تأسيس نموذج نقدي لقراءة شعر رعد عبد القادر يمكن توظيفه في تحليل نصوص أخرى من الشعر العراقي الحديث.

خامساً: فرضيات البحث

1-تظهر قصائد رعد عبد القادر أن الاستشراف ليس تنبؤاً غيبياً، بل هو حساسية شعرية تحضر الكارثة قبل وقوعها وتحوّلها إلى رؤية شعرية.

2-يوظّف رعد الخسارة الإنسانية (الفرد والمكان والوطن والمعنى) كمادة أساسية في بناء شعره لا كخلفية ثانوية.

3- تميّز قصائد رعد بين الموت الجماعي السياسي والموت الإنساني الشعوري وتعطي للموت الثاني قيمةً جماليةً ووجوديةً أعلى.

4-تستعمل الصور السينمائية والتقاطعات الزمنية والرموز الحسية أدواتٍ لإبراز بنية الاستشراف وتحويل الخسارة إلى فعل شعري حي.

المبحث الثاني: الإطار النظري

أولاً: مفهوم الاستشراف وأسباب اختيار رعد عبد القادر:

يعدّ الاستشراف من المفاهيم التي ارتبطت بقدرة الإنسان على قراءة المستقبل واستكشاف ما يمكن أن تؤول إليه الأحداث والظواهر استنادًا إلى معطيات الواقع ومؤشراته؛ إذ يحيل هذا المفهوم إلى فعل النظر المتجاوز للحظة الراهنة نحو ما يمكن أن يحدث لاحقا، وقد ورد مفهوم الاستشراف في اللغة العربية بدلالات متعددة تشير إلى التطلع والترقب والنظر من مكان مرتفع؛ فقد ورد في المعاجم أنَّ "الشرف: العلو والمكان العالي... وأشرف عليه: اطلع عليه من مكان عال"، كما جاء أيضًا أنَّ "شارف الشيء: دنا منه وقارب أن يظفر به... والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك وتنظر، وأصله من الشرف وهو العلو... والتشرف للشيء: التطلع والنظر إليه وحديث النفس وتوقعه" (الرازي، 2012، ص302؛ ابن منظور، د.ت، ج4، ص2242).

أما في الاصطلاح، فإن الاستشراف لا يقتصر على كونه عملية تنبؤ أو تخمين مستقبلي، بل يمثل آلية فكرية تعتمد على تحليل الحاضر والكشف عن مؤشرات التحول الكامنة فيه، وصولًا إلى بناء تصورات محتملة لما قد يحدث مستقبلًا، ومن ثم فهو يقوم على أسس واقعية ومنهجية تستند إلى جملة من الأسباب والعلل والمعطيات القابلة للتحليل والتفسير، الأمر الذي يجعله

قراءة واعية للمستقبل انطلاقًا من الحاضر لا انفصالًا عنه، ويرى بعض الباحثين أن الاستشراف يمثل محاولة لفهم الاتجاهات الكامنة في الواقع وتحديد المسارات المحتملة للتغير الاجتماعي والثقافي والفكري (المسدي، 2006، ص87).

وتتجلى أهمية الاستشراف في الدراسات الأدبية من خلال قدرة النص الأدبي على تجاوز وظيفة الوصف والتسجيل إلى إنتاج رؤى فكرية وثقافية تستشعر التحولات القادمة وتستبقها، فالأدب لا يعكس الواقع بصورته الجامدة فحسب، وإنما يعيد تشكيله وفق رؤية المبدع وخبرته الذاتية، لذلك يغدو الشعر مساحة للتعبير عن الهواجس الإنسانية والقلق الوجودي والتغيرات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤثر في المستقبل، ومن هذا المنطلق يمكن النظر إلى الاستشراف بوصفه أحد المكونات الجمالية والفكرية التي تمنح النص الشعري أبعادًا تتجاوز حدود الزمن المباشر (حادي، 2003، ص79).

وجاء اختيار الشاعر رعد عبد القادر موضوعا لهذه الدراسة لما يمتلكه من خصوصية شعرية وفنية أسهمت في تشكيل تجربته الأدبية وتميزها داخل المشهد الشعري المعاصر، فقد اتسمت تجربته بالقدرة على المزج بين الرؤية الذاتية والهم الإنساني العام، فضلاً عن توظيفه لغة شعرية تجمع بين البعد الرمزي والتأمل الفكري، وأن شعره يحمل ملامح استشرافية واضحة تتجلى في استحضار المستقبل عبر استقراء الواقع وما يحمله من تحولات وأزمات، الأمر الذي جعل قصيدته تتجاوز حدود التعبير المباشر إلى بناء رؤى إنسانية أوسع، وأن تجربة رعد عبد القادر الشعرية لم تنل نصيبا وافيًا من الدراسات النقدية مقارنة بتجارب شعرية معاصرة أخرى، إذ انصرفت كثير من الدراسات إلى تناول جوانب من سيرته أو سماته الفنية العامة دون التوقف بصورة معمقة عند البعد الاستشرافي في شعره، ولا سيما ما يتعلق بتمثلات الفقد والخسارة والتحولات الوجودية في تجربته الشعرية، وهو ما يمنح هذه الدراسة أهميتها العلمية ويجعلها محاولة للكشف عن جانب نقدي يحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل. (ينظر: شبر، 2014، ص24).

ثانياً: نظرية الاستشراف الأدبي:

يُعدّ مفهوم الاستشراف الأدبي من أكثر المفاهيم النقدية عمقاً وإثارةً للجدل في حقل الدراسات الأدبية المعاصرة، ولا سيما حين يتعلق الأمر بالأدب الكارثي الذي ينبثق من رحم المحن الكبرى التي تعصف بالمجتمعات وتعيد تشكيل وعيها الجمعي؛ فقد أفضت الحروب المتتالية والقمع السياسي الممنهج في العراق إلى ولادة شعر يحمل في بنيته الداخلية بذور النبوءة قبل تحققها (عبيد، 2000، ص41)، وقد تبلور هذا المفهوم في سياق دراسة العلاقة الجدلية بين الشاعر ولحظته التاريخية، تلك العلاقة التي لا تقوم على التنبؤ الغيبي أو الادعاء بامتلاك المعرفة الخفية، بل تنبثق من حساسية إنسانية استثنائية تجعل الشاعر قادراً على استقراء إشارات محيطه وقراءة ما بين السطور مما يعجز الآخرون عن رؤيته، وإن الشاعر المستشرف في هذا التصور النقدي ليس عرّافاً ولا نبياً، بل هو إنسان يمتلك من الحساسية الجمالية والوعي التاريخي ما يجعله يتحوّل إلى مرآة عاكسة لمآلات مجتمعه قبل أن تتجلى تلك المآلات بصورتها الكاملة (عبيد، 2001، ص18)، ووصف الناقد سعد هادي تجربة رعد عبد القادر بوصفها نموذجاً فريداً لــ "فقدان الأمل: لا جدوى من الشعر، لا جدوى من الثقافة، بل لا جدوى من الحياة، ماذا تبقّى؟ القليل من الحلم والقليل من مراوغة الموت حتى يحين، إنها حالة عراقية بامتياز" (هادي، 2003، ص 68)، وما يجعل هذا الوصف بالغ الأهمية نقدياً أنه لا يُقرأ على أنه يأس فردي أو انهزامية شخصية، بل هو تشخيص دقيق لحالة شعب كامل عاش عقوداً من الكبت والحروب المتتالية التي أنهكت روحه الجمعية، وكان رعد عبد القادر واحداً من أبرز من جسّدوا هذه الحالة شعراً ووجوداً (البابطين، 2003، ص73) كان الشاعر يرى ما عجز الآخرون عن رؤيته أو آثروا الصمت إزاءه، ويُحوّل تلك الرؤية المؤلمة إلى نص شعري يحمل في طياته بذور الكارثة قبل وقوعها، مما يجعل قصائده اليوم وثيقةً تاريخيةً بقدر ما هي نص إبداعي (ينظر: عبيد، 2000، ص52).

ثالثاً: شعرية الخسارة:

تنهض شعرية الخسارة بوصفها مفهوماً نقدياً على دراسة الكيفية التي يُحوّل بها الشاعر خسارته الفردية والجمعية إلى نص إبداعي حيّ قادر على استيعاب الألم وتجاوزه في آنٍ واحد، إذ تتحوّل الخسارة في يد الشاعر الحقيقي من مأزق وجودي إلى مادة جمالية تحمل في داخلها بذور المقاومة الصامتة (عبيد، 2001، ص29)، وقد جسّد رعد عبد القادر هذا المفهوم

بصورة لافتة وعميقة حين اختار إخفاء مئات القصائد بعيداً عن أعين الرقباء، في تعارض واعٍ ومقصود مع سياسة الصوت العالي التي أحكمت السلطة فرضها على الفضاء الثقافي العراقي طوال عقود متتالية؛ فقد أصدر طوال مسيرته الشعرية الممتدة من 1979 حتى وفاته أربع مجموعات فحسب، تاركاً وراءه عدداً كبيراً من المخطوطات التي لم تُنشر في حياته (هادي، 2003، ص32)، وكان يؤسّس في الخفاء لمشاريع شعرية متتالية ومتكاملة لم يُجاهر بها، كأنه يكتب لزمن آخر لم يأتِ بعد، وهو ما لفت إليه الناقد فاضل ثامر حين أشار إلى أن شعر رعد يمثّل قصيدة المشهد الشعري التي تقترب من أسلوب الشعراء الكبار في توظيف المفارقة والرمز بعيداً عن الصراخ الأيديولوجي (ثامر، 2005، ص71)، غير أن هذا الإخفاء لا يُفهم على أنه موقف سياسي صرف أو تهرّب من المسؤولية، بل هو في جوهره صيغة أدبية خاصة وعميقة في التعامل مع الخسارة، تكشف عن وعي شعري متقدم بطبيعة العلاقة بين الكلمة والسلطة والتاريخ (عبيد، 2002، ص16) فالشاعر الذي يكتم شعره يكتم معه رؤيته الكاملة للكارثة، كأنه يحمي الآخرين من حقيقة لا طاقة لهم على احتمالها في تلك اللحظة التاريخية بالذات، وهكذا تتحوّل الخسارة عنده من حالة سلبية إلى فعل إبداعي إيجابي يؤسّس لعلاقة مختلفة بين الشاعر وزمنه (ينظر: ضحى، 2021، ص56).

رابعاً: الشعر الكارثي وعلاقته بالزمن:

يعدّ الشعر الكارثي من أكثر الأنماط الشعرية التصاقاً بالزمن وأشدّها حساسية لتحولاته، إذ لا ينشأ في فراغ بل يتولّد من رحم لحظة تاريخية بعينها تضغط على الشاعر ضغطاً وجودياً يجعله عاجزاً عن الصمت وقادراً في الوقت ذاته على تجاوز اللحظة نفسها نحو ما هو أبعد منها وأعمق ويذهب الجنابي إلى أن الشعر الكارثي "لا يعيش في الزمن الذي كتب فيه بل في الأزمنة التي يُقرأ فيها، فكلما اشتدّت الأزمة التي يصفها كان أكثر قدرةً على التجديد والحياة في أزمنة مغايرة" (الجنابي، 2018، ص43)، وهذه الخاصية تجعل من الزمن في الشعر الكارثي بنية مزدوجة تجمع بين الحاضر الذي أنتج القصيدة والمستقبل الذي يتلقاها، فكأن القصيدة تُكتب مرتين: مرةً حين يضعها الشاعر على الورق، ومرةً أخرى حين يقرؤها من جاء بعده وعاش الكارثة التي استشرفها.

وتتجلى هذه الازدواجية الزمنية بصورة واضحة حين نقرأ شعر الكارثة في ضوء ما يسمّيه العلاق "التوتر الزمني الشعري"، وهو ذلك الشد الدائم بين ما هو كائن وما هو آتٍ في بنية

النص الواحد (العلاق، 2015، ص88)، فالقصيدة الكارثية لا تقدّم نفسها توثيقاً لما مضى بل إنذاراً لما هو قادم، وهذا الإنذار لا يأتي في صورة خطابية مباشرة بل في صورة شعرية مضمرة تجعل القارئ يشعر بثقل المستقبل دون أن يُسمّى له صريحاً، وتتبيّن أهمية ظاهرة الاستشراف عند رعد عبد القادر؛ فهو لم يكتب عن الحرب حين اندلعت بل كتب عنها وهي لا تزال تتشكّل في اللاوعي الجمعي، ولم يرثِ الخسارة بعد وقوعها بل أعدّ لها مرثيتها مسبقاً، وهو ما جعل قصائده تقرأ اليوم كأنها كُتبت بعد الأحداث لا قبلها، وهو المفارقة الاستشرافية الكبرى التي تميّز هذا الشعر عن غيره وتمنحه ذلك الثقل التاريخي الذي يشعر به كل قارئ يتعامل معه بجدية ووعي.

والزمن في الشعر الكارثي لا يسير في خط مستقيم من الماضي إلى المستقبل بل هو زمن دوّامي يلتفّ على نفسه ويعود إلى نقطة البداية في كل مرة، وهذا ما يمنح الاستشراف قوته الأخلاقية إضافةً إلى قوته الجمالية؛ لأنه يقول ضمنياً إن الكارثة لم تكن حادثةً مجهولة بل كانت مقروءةً ومتوقعة لمن يملك الأدوات الكافية لرؤيتها، وفي ذلك اتهام صامت لكل من أغمض عينيه، وتبرئة شعرية لكل من رأى وكتب.

المبحث الثالث: شعرية الاستشراف والخسارة الإنسانية في شعر رعد عبد القادر

يُمثّل هذا المبحث القلب التحليلي للدراسة، ويقوم على تحليل نصوص مختارة من شعر رعد عبد القادر وفق مفهوم شعرية الاستشراف، ويمثّل رعد عبد القادر ظاهرة شعرية استثنائية في مشهد القصيدة العراقية الحديثة، لا لكونه شاعراً أجاد توظيف الأدوات الفنية فحسب، بل لأنه امتلك ما يمكن تسميته بـــ(الحساسية الاستشرافية)، وهي قدرة نادرة على استشعار الكارثة قبل وقوعها وتحويل هذا الاستشعار إلى نص شعري يحمل في طياته بذور الخسارة الإنسانية الكبرى، فشعره ليس توثيقاً للواقع المعيش بقدر ما هو قراءة نبوئية للزمن الآتي، تستعين بالتفصيل اليومي وسيلة للكشف عما هو أعمق من اليومي، وتستخدم المشهد المألوف بواباً لعالم لا تستطيع اللغة العادية الوصول إليه، ولفهم هذه الشعرية فهماً حقيقياً لا بد من الغوص في نصوصه والتأمل في كيفية اشتغال الاستشراف والخسارة فيها بنية ودلالة وأسلوباً.

أولاً: الاستشراف من خلال قصيدة ابتسامات مرسومة:

تعدّ قصيدة ابتسامات مرسومة من أكثر نصوص رعد عبد القادر كثافة في تجسيد شعرية الاستشراف، إذ يبني فيها مشهداً بانورامياً يجمع بين عناصر الحياة اليومية والرموز

الحضارية في تراكم يشبه حركة الكاميرا السينمائية وهي تمسح فضاء آيلاً للسقوط. إذ يقول الشاعر:

والعادات اليومية والألفة والغضب

والأشجار ومن صلبوا عليها

والأجراس والشموع والكنائس ...

وجاءت الطيور واحتلّت واجهات المخازن

ونظرت في الداخل إلى الحطام

وانقضت على الدمى المبتسمة ــ ببلاهة ــ في الفراغ

وطارت الطيور بعيون الدمى

وظلت الابتسامات مرسومة على الشفاه

(عبد القادر، 2013، ص 47)

يفتتح الشاعر نصه بجمع عناصر الحضارة الإنسانية كلها في سطرين متواليين — الأعراف الاجتماعية، والطبيعة، والدين — وهذا التراكم ليس ترفاً وصفياً بل هو استراتيجية استشرافية مقصودة؛ إذ يضع الشاعر أمام القارئ صورة اكتمالية لما هو موجود قبل أن يفقد، فكأن سرد هذه العناصر معاً هو مرثية مسبقة لمنظومة حضارية على وشك الانهيار، وما يمنح هذا المشهد طابعه الاستشرافي الفريد أن الشاعر لم يصرّح بالكارثة القادمة بل ترك التراكم نفسه يوحي بها، فاللغة تستشرف من دون أن تعلن، ثم ينعطف النص نحو الصورة الأبرز في بنائه الاستشرافي حين تأتي الطيور لتحتل واجهات المخازن، والطيور في معجم الشاعر الرمزي ليست رمزاً للجمال والحرية بل هي علامة على الهجران والتدهور؛ لأن الطيور بطبيعتها تتجنب الأماكن الآهلة بالبشر وتسكن المهجورة، فحين تحتل واجهات المخازن فذلك يعني أن الإنسان غاب عن هذا الفضاء أو أُقصي منه، وهذا الغياب هو الخسارة الإنسانية الأولى في النص: خسارة الحضور والانتماء إلى المكان الذي كان يوماً حياةً متدفقة.

غير أن أعمق لحظة في القصيدة وأكثرها ثقلاً على مستوى الخسارة الإنسانية هي الخاتمة التي يقول فيها الشاعر إن الطيور طارت بعيون الدمى، وإن الابتسامات ظلت مرسومة على الشفاه، هذا المشهد الختامي يحمل طبقتين من الخسارة متداخلتين ومتكاملتين في آنٍ واحد؛ الطبقة الأولى مادية تتمثل في نهب الطيور لعيون الدمى أي سرقة آخر بقايا الشكل الإنساني،

والطبقة الثانية وهي الأشد مأساوية تتمثل في بقاء الابتسامات مرسومة على الشفاه رغم كل شيء، فالإنسان الذي خسر أمانه وعاداته ومقدساته وعيونه لم يفقد قدرته على ارتداء قناع الابتسامة، وهذا هو جوهر الخسارة الإنسانية كما يراها رعد عبد القادر: ليست الخسارة الكاملة التي تعلن عن نفسها بصراخ بل هي الخسارة التي تختبئ خلف ابتسامة لا تعني شيئاً، وفي هذا استشراف عميق لمآل الإنسان في زمن القمع والحروب: أن يبقى حياً في الشكل ميتاً في الجوهر، يبتسم لأن الابتسامة آخر ما تبقى له من ملكيات.

ثانياً: الاستشراف من خلال انقلاب النظام الكوني– قصيدة قمر وحروب

إذا كانت ابتسامات مرسومة قد استشرفت انهيار الحضارة من خلال الفضاء الخارجي العام، فإن قصيدة قمر وحروب من ديوان صقر فوق رأسه شمس تستشرف الخسارة الإنسانية من خلال منهجية مغايرة تماماً، هي منهجية انقلاب النظام الكوني وتحوّل قوانين الوجود ذاتها إلى مصدر للفزع. إذ يقول الشاعر:

القمر في الأرض

والمدرسة في السماء

ثمة في الساحة المكشوفة أحجار كريمة

وصفٌ طويل من الأشجار

في المستشفيات تقرع أجراس الطفولة

في الشوارع تدور عجلات الغبار

في البيوت تقفز الأحلام من النوافذ

بلا تلاميذ

الطيور في الخنادق

والظهيرة بلا أمهات

(عبد القادر، 2013، ص 312–313)

يبدأ الشاعر بصورتين مقتضبتين تحدثان صدمة بصرية فورية في ذهن القارئ: القمر في الأرض / والمدرسة في السماء، هذا الانقلاب ليس لعبة بلاغية للمتعة الجمالية، بل هو الأداة الاستشرافية الأساسية في النص؛ فحين ينزل القمر إلى الأرض ويصعد إلى السماء ما لا ينبغي أن يكون فيها، فذلك إعلان شعري بأن الحرب قلبت قوانين الوجود نفسها، والقمر في

الوجدان الإنساني والشعري العربي رمز للأحلام والشوق والجمال، فحين يسقط إلى الأرض يفقد هذه الدلالات كلها ويصبح ثقلاً لا بهاءً، وبالمقابل فإن المدرسة حين تصعد إلى السماء تتحول من مكان للتعلم اليومي الممكن إلى حلم بعيد المنال، أي أن التعليم والمستقبل باتا من مرتبة الممكن إلى مرتبة المستحيل، وتنساب الخسارة الإنسانية في القصيدة بعد ذلك في موجات متراكمة تشبه حصاداً مؤلماً لا يتوقف، فالطفولة التي كانت في الملاعب والحدائق باتت تقرع أجراسها في المستشفيات، وهذا التحوّل الاستشرافي يرسم جيلاً مسروقاً من براءته قبل أن يعيشها، والأحلام التي كانت تسكن البيوت باتت تقفز من النوافذ، وفعل القفز هنا بالغ الأثر لأنه ينزع الحلم من سلبيته الساكنة ويعطيه حركةً عنيفةً مفاجئة، كأن الحلم نفسه استشعر أنه لا مكان له في هذا الواقع ففرّ منه بإرادته أو انتحر، والطيور التي كانت رمز الحرية باتت في الخنادق، أي أن الحرية ذاتها استسلمت للحرب وسكنت في أضيق الأماكن وأشدها ظلمة.

ولكن ذروة الخسارة الإنسانية في هذه القصيدة تأتي في آخر سطر وأقصره: والظهيرة بلا أمهات، هذا السطر يحمل في طيّه عالماً كاملاً من المعنى المفقود؛ فالظهيرة في الثقافة العربية وفي الوجدان الإنساني العميق هي وقت الدفء والاجتماع العائلي وصوت الأم في المطبخ ورائحة الطعام وحضور الأمان في صورته الأكثر بساطةً وصدقاً، فحين تصبح الظهيرة بلا أمهات لا يغيب فردٌ بل يغيب مفهومٌ كامل للحياة، يغيب الأمان في أصله الأول، وهذا هو منهج الشاعر في استشراف الكارثة الكبرى: أن يأتي إليها من باب التفصيل الصغير اليومي الذي يعرفه الجميع ويحتاجه الجميع، فحين يفقد هذا التفصيل الصغير يدرك القارئ أن ما فقد ليس تفصيلاً بل أساس الحياة كلها.

ثالثاً: الخسارة في التفاصيل اليومية– قصيدة سعداء للمطر

الخصيصة الاستشرافية في هذه القصيدة لا تكمن في بنيتها الداخلية وحدها بل في التناقض الصارخ الذي يحدثه العنوان في علاقته بمضمون الصور؛ فـــ سعداء للمطر يعد القارئ بفرح وانتعاش وبداية جديدة، وهو ما يجعل الصور التي تليه أكثر إيلاماً حين تتسلل إليها الكآبة والخراب من زوايا غير متوقعة. إذ يقول الشاعر:

سعداء للمطر

السيارة الحمراء جثمت في حفرةٍ عند ناصية الشارع

الحريق شبّ في مقبرةٍ قرب الجسر

النوارس حلّقت في المطر

المدينة البيضاء تطل نوافذها على النهر

المرضى ينظرون إلى المطر من خلال زجاج

(عبد القادر، 2013، ص 287)

يبدأ الشاعر بمشهد عادي جداً، سيارة متوقفة عند ناصية الشارع، لكن الفعل الذي يختاره لوصف هذا التوقف يشحن المشهد بدلالة استشرافية ثقيلة: (جثمت) فالجثوم فعل الأجساد الميتة لا الأشياء المعطوبة، وتوظيفه مع السيارة يستشرف موت الحركة والحياة في المدينة قبل أن يُعلن ذلك صراحة. ثم تأتي الصورة الثانية أشد غرابةً وأعمق دلالةً: الحريق شبّ في مقبرة قرب الجسر، المقبرة في الوعي الإنساني هي المكان المحاط بسياجٍ من السكون والهدوء والبرودة، فحين تشتعل فيها نار يحدث ذلك اضطراباً في المنطق الوجودي ذاته؛ إذ أن الموت أصبح يتأجّج بدلاً من أن يسكن، وأن حتى الراحة الأخيرة التي يتوقعها الإنسان لم تعد مضمونة، وهذا استشراف بالغ القسوة لمجتمع لا يجد الأمان حتى في موته.

وتبلغ شعرية الاستشراف والخسارة معاً ذروتها في الصورة الأخيرة من القصيدة: المرضى ينظرون إلى المطر من خلال زجاج، الزجاج في هذا السياق ليس مادةً بنائية بل هو الرمز الأكثر إيجازاً وكثافةً للخسارة الإنسانية التي يستشرفها الشاعر؛ لأنه يسمح بالرؤية ويمنع اللمس، يقرّب المسافة ويُبقي الحاجز، يجعل الإنسان يرى الحياة كاملةً أمامه دون أن يتمكن من العيش فيها المرضى يعرفون معنى المطر ويتذكرون لمسته ولكنهم لا يستطيعون أن يمدوا أيديهم إليه، وهذه هي الخسارة في تعريفها الأعمق عند الشاعر: ليس أن تُحرم من شيء لا تعرفه، بل أن تنظر إليه وأنت تعرف قيمته ولا تستطيع الوصول إليه، والشاعر بهذه الصورة يستشرف حالة الإنسان في زمن الحصار والحرب والقمع: يرى الحياة الطبيعية من وراء زجاج اسمه الظروف.

رابعاً: الاستشراف الوجودي – قصيدة أوبرا الأميرة الضائعة

يمثّل المقطع الآتي من قصيدة أوبرا الأميرة الضائعة اللحظة التي تبلغ فيها شعرية الاستشراف عند رعد عبد القادر مستواها الوجودي الأعمق، حين تتحول الرحلة من استشراف اجتماعي أو سياسي إلى استشراف لمآل الإنسان في علاقته مع الوجود ذاته. إذ يقول الشاعر:

وفي البحث كنتُ أطرق أبواب الليل والنهار

ممرات طويلة مظلمة دخلتها

وساحات مضيئة وصلت إليها

أبصرت المفتاح مضيئاً

مددت كفي وأمسكت بالمضيء

دارت بي الآفاق

وأظلمت الدنيا من حولي

فلم أعد أبصر كفي وهما تحملان المفتاح

وجدت المفتاح ويدي وفقدت عيني

(عبد القادر، 2013، ص 201)

يسير هذا المقطع في خط تصاعدي دقيق يقوم على ثلاث مراحل مترابطة: البحث ثم العثور ثم الفقدان، وهذا التسلسل الثلاثي هو البنية الاستشرافية الأساسية في النص، فالرحلة تبدأ من الظلام، تمر بالنور، لتنتهي بظلام أعمق وأشد. وهذا المسار يستشرف مآلاً إنسانياً مكثفاً: أن كل رحلة نحو النور في زمن لا يُكافئ الساعين مآلها ظلام أكثف مما كان قبل البدء، فالإنسان لا يخسر فقط ما بحث عنه، بل يخسر قدرته على الرؤية في الطريق، أي يخسر أدواته التي بها كان يرى ويفهم ويعيش.

والسطر الختامي وجدت المفتاح ويدي وفقدت عيني هو من أبلغ الصور الشعرية التي تُجسّد فلسفة الخسارة الإنسانية عند رعد عبد القادر في صياغة واحدة مكثّفة، فالمفتاح رمز الوصول والمعرفة والتحرر، واليد رمز القدرة على الفعل والإمساك، لكن الوصول إلى هذين معاً كلّف العيون، أي كلّف الرؤية ذاتها وهي الملكة الأولى للإنسان في معرفة وجوده، والمعادلة التي يبنيها الشاعر هنا تقول إن الخسارة تزيد دائماً على الربح، وإن الإنسان مهما وصل يفقد في الطريق إليه ما هو أغلى مما وصل، وهذا استشراف لمصير الإنسان الساعي في زمن الحروب والقمع: يصل إلى حلمه ولا تبقى له رؤية للاستمتاع بما وصل إليه.

خامساً: الاستشراف التاريخي الحضاري– قصيدة لغز الكلب

تنتقل شعرية الاستشراف في هذه القصيدة من ديوان دع البلبل يتعجب من المستوى الشخصي والاجتماعي إلى أفق أرحب هو المستوى التاريخي الحضاري الشامل، حين يتحول

الاستشراف من قراءة للحظة الراهنة إلى قراءة لقانون الوجود الإنساني عبر الأزمنة كلها. إذ يقول الشاعر:

كم يبلغ عمر هذا الكلب؟

إذ علمنا أنه يعض كل سبعة آلاف عام

عضة واحدة

وأنه عضنا سبع عضات

علماً أن هذا الكلب مدرَّب

(عبد القادر، 2013، ص 156)

يقوم الشاعر في هذه القصيدة بما يمكن تسميته بـــ الاستشراف الرياضي: فسبع عضات كل منها مرة كل سبعة آلاف عام تعني أن الإنسانية تتعرض للقهر منذ تسعة وأربعين ألف سنة، وهذا التحديد الرقمي ليس تحديداً حرفياً بل هو أداة شعرية لإثبات أن القهر ليس حادثةً طارئة بل هو قانون متجذر في تاريخ الوجود الإنساني، والرقم سبعة في الثقافات الإنسانية ذو دلالة خاصة يرتبط بمفهوم الاكتمال والدورة التامة، وتوظيفه هنا يُكثف الاستشراف: القهر لم يكن عارضاً بل كان دورةً متكاملةً تتجدد.

والعبارة الأخيرة علماً أن هذا الكلب مدرَّب هي قلب الاستشراف في القصيدة ومحوره الدلالي الأساسي؛ لأن التدريب يعني القصد والتنظيم والتخطيط، أي أن القهر الذي يتجدد عبر الأزمنة ليس قدراً عشوائياً بل هو فعل مدبَّر يجري بوعي وإرادة، وهذا الاستشراف يُضيف إلى الخسارة الإنسانية بُعداً مضاعفاً: فليس الإنسان فقط يخسر جرّاء القهر، بل يخسر أيضاً وهم الحظ والمصادفة، ويواجه حقيقة أن خسارته مُصمَّمة له مسبقاً، وهذا هو الأشد قسوةً في الخسارة الإنسانية كما يراها الشاعر: ليس الجهل بمن يقهرك، بل معرفة أن قهرك كان مُخططاً له.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

1-الاستشراف في شعر رعد عبد القادر ليس تنبؤاً غيبياً بل هو حساسية شعرية عميقة تنبثق من وعي الشاعر بمحيطه الإنساني والتاريخي، إذ يقرأ إشارات زمنه بعمق غير مألوف ويحوّلها إلى نص شعري يسبق وقوع الكارثة ويشهد عليها قبل أن تتجلى بصورتها الكاملة.

2- تكشّف الاستشراف في النصوص المدروسة عبر أربعة مستويات متمايزة ومتداخلة، هي المستوى الاجتماعي الحضاري والمستوى الكوني الوجودي والمستوى اليومي الخفي والمستوى الفردي العميق، مما يدل على أن الاستشراف عند الشاعر ليس أداة واحدة بل منظومة رؤيوية متكاملة تنتظم بنية النصوص من أولها إلى آخرها.

3- الخسارة الإنسانية في هذه التجربة الشعرية ليست خلفيةً عاطفية للنصوص بل هي مادتها الأساسية ومحورها البنائي الذي تنتظم حوله الصور والرموز والتراكيب، وقد تجلّت في أبعاد متعددة شملت خسارة المكان والطفولة والحلم والرؤية والأمان الأول.

4- يميّز شعر رعد عبد القادر بصورة واضحة بين الموت السياسي الجماعي والموت الإنساني الشعوري العميق، إذ يمنح الموت الثاني قيمة جمالية ووجودية أعلى، فالموت عنده ليس نهايةً بل لحظة كشف تُعرّي الحقيقة الإنسانية في أصفى صورها وأكثرها إيلاماً.

5- تتحوّل الخسارة الإنسانية في يد الشاعر من مأزق وجودي سلبي إلى فعل إبداعي إيجابي يُؤسّس لعلاقة مختلفة بين الشاعر وزمنه، فرعد عبد القادر لم يكتب الخسارة ليبكيها بل ليحوّلها إلى شهادة شعرية تحمل في طياتها مقاومة صامتة لكل أشكال القهر والتهميش.

ثانياً: التوصيات

1- يوصي البحث بإجراء دراسات نقدية معمّقة تتخذ من مفهوم شعرية الاستشراف أداةً نظريةً مركزية لقراءة تجارب شعرية عراقية وعربية أخرى تشترك مع تجربة رعد عبد القادر في الوعي المبكر بالكارثة والخسارة، لا سيما شعراء جيل السبعينات الذين عاشوا الظروف التاريخية ذاتها وتشرّبوا الوعي نفسه.

2–يوصي البحث بإعادة تحقيق المخطوطات الشعرية غير المنشورة التي تركها رعد عبد القادر ونشرها بصورة علمية رصينة، إذ إن هذه المخطوطات تمثّل كنزاً أدبياً لم يُستثمر بعد ويمكن أن يكشف أبعاداً جديدة في فهم شعريته الاستشرافية والوجودية.

3–يوصي البحث بتضمين شعر رعد عبد القادر في المناهج الأدبية الجامعية بوصفه نموذجاً دراسياً لتدريس مفاهيم الشعر الكارثي وشعرية الاستشراف والخسارة الإنسانية، مما يسهم في تأهيل جيل جديد من الباحثين والنقاد القادرين على تحليل هذا النوع من الشعر بأدوات نقدية مناسبة.

4–يوصي البحث بعقد ندوات ومؤتمرات نقدية متخصصة تُعنى بدراسة ظاهرة الاستشراف الكارثي في الشعر العراقي الحديث، وتُقارن بين تجارب شعرية متعددة تجمعها خاصية الرؤية المسبقة للكارثة، بما يُفضي إلى بناء نظرية نقدية متكاملة قابلة للتطبيق على تجارب شعرية عربية وإنسانية أوسع.

5– يوصي البحث بترجمة نماذج مختارة من شعر رعد عبد القادر إلى لغات أجنبية مع توفير قراءات نقدية مرافقة تُبرز بُعده الاستشرافي والإنساني، وذلك حرصاً على تعريف القارئ الأجنبي بهذه التجربة الشعرية الاستثنائية التي تعبّر عن وجدان شعب كامل وتحمل رؤية إنسانية تتجاوز حدود الجغرافيا والتاريخ.

References

1- Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram, (n.d.), Lisan al-Arab (vol. 4). Cairo: Dar al-Ma'arif.
2- Al-Babtain, Abdul Aziz Saud, (2003). Al-Babtain Dictionary of Contemporary Arab Poets. Abdul Aziz Saud Al-Babtain Foundation for Poetic Creativity.
3- Al-Bayati, Saadi, (2017). Voice and Silence in Modern Iraqi Poetry. General Cultural Affairs House.
4- Thamer, Fadel, (2005). The Poetic Scene Poem in Raad Abdul Qader's Works. Baghdad: General Cultural Affairs Department.
5- Al-Janabi, Muhammad, (2018). Literary Foresight and Times of Catastrophe. Arab Foundation for Studies and Publishing.
6- Hadi, Saad, (2003). Raad Abdul Qader: He Foresaw the Catastrophe and Moved On. Al-Akhbar Lebanese Newspaper.

7- Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr. (2012). Mukhtar al-Sihah (5th ed.). Beirut: Dar al-Ma'rifah.
8- Shabbar, Ahmed Mahdi, (2014). The Poetics of Place in the Poetry of Ra'ad Abdul Qadir (Master's Thesis). Al-Mustansiriya University.
9- Daifallah, Nasser al-Din. (2010). Foresight in Poetry. Al-Jazirah Newspaper.
10- Abdul Amir, Karim, (2020). The Poetics of Loss: Readings in Contemporary Iraqi Literature. Al-Jamal Publications.
11- Ubaid, Muhammad Sabir, (2000). The Poetic Imagination: Methods of Formation and Significance of Vision in Modern Iraqi Poetry. General Cultural Affairs House.
12- Ubaid, Muhammad Sabir, (2001). The Modern Arabic Poem Between Semantic and Rhythmic Structure. Arab Writers Union.
13- Ubaid, Muhammad Sabir, (2002). Modern Iraqi Poetry: A Reading and Selections. Greater Amman Municipality.
14- Al-Alaq, Ali Jaafar, (2015). Iraqi Poetry in Confrontation with History. Dar Al-Farabi.
15- Al-Masdi, Abd Al-Salam, (2006). Literature and the Discourse of Criticism. Tunisia: Tunisian Publishing House.
16- Duha, Zahir Yassin. (2021). Foresight in the Modern Iraqi Poem (Master's Thesis). University of Diyala, College of Education for Human Sciences.
17- Abd Al-Qadir, Raad, (2013). The Complete Poetic Works. House of Cultural Affairs.